آليات التماسك النصيّ في القرآن الكريم
(السّيوطيّ وابْن هشام الأنصاريّ أنموذجان)

Mechanisms of textual cohesion in the Holy Qur'an
(Al-Suyuti and Ibn Hisham Al-Ansari are two models)

د. عبد العالي موساوي
مرْكز البحث العلميّ والتقنيّ لتطوير اللّغة العربيّة
(وحدة البحث ورقلة) الجزائر
البريد الالكتروني:dr.moussaouiabdlali@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/11/25 **تاريخ القبول للنشر**: 2023/12/29 **تاريخ النشر**: 2023/12/31

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخّص :

التماسك النّصّي اتّجاه حديث في دراسة النّص ، تبَلْورتْ ماهيّته وأسُسه في الغرب ، والورقة التي بين أيْدينا توثّق الأُسُس بيْن علماء اللّغة العَرب (التّراث) والغرْب ،كما تكشف عن وظيفة هذا الاتجاه وغايته؛ محاولة لفْت نظر الدّارسين إلى كيفيّة اسْتثماره في تحْليلاتهم اللّسانيّة، فكان العنوان: **آليات التماسك النصيّ (السّيوطي وابْن هشام الأنصاري أنموذجان)** . ويتلخّص البحثُ في الإجابة على سؤالٍ عامٍّ هو: كيْف يظْهر التّماسُك النّصِي منْ خِلالِ الجُهود اللّغَويّة للسّيوطي وابْن هِشام الأنْصارِيّ؟

ولمعالجة ذلك بنيْنا المقال على: مقدّمة حُرّر فيها الاشكال والغاية من المؤْضوع ، ثم عرْض يتمثّل في حُدود الدّراسات اللّغويّة : الجُملة والنّص والتّركيز علَى التّماسُك النّصي و ما يتعلّق بأسسه ولم نغْفِل ما توصّل إليْه علماء الغرب . ثم إبراز جهود العرب - السّيوطي وابنْ هشام الأنصاريّ – في تحْليلهم وتفْسيرهم للنّص القرآنيّ، و خاتمةٍ جمَعتْ نتائج دلّتْ على سبْق العرب في الدّراسات النّصيّة ؛ و جُهودهم التي تميّزتْ بالجِدّة والدّقة و اسْتنتاج الآليات التي أظهرتْ إحْكام آيات القرآن واتّساقها.

الكلمات المفتاحيّة: التماسك النّصي ، لسانيات الجُملة ، لسانيات النّص، الجُملة ، النّص .

Abstract:

Textual cohesion is a recent trend in the study of text, its nature and foundations crystallized in the West, and the paper in our hands documents the foundations between Arab linguists (the heritage) and the West, and also reveals the function and purpose of this trend; An attempt to draw the attention of scholars to how to invest it in their linguistic analyses, so the title was: Mechanisms of Textual Cohesion (Al-Suyuti and Ibn Hisham Al-Ansari as two models).

The research is summed up in answering a general question: How does textual cohesion appear through the linguistic efforts of Al-Suyuti and his son? Sham Al-Ansari? To address this, we built the article on: an introduction in which the forms and purpose of the topic were highlighted, then a presentation representing the limits

of linguistic studies: the sentence and the text, focusing on textual cohesion and what relates to its foundations, and we did not ignore what Western scholars have reached. Then highlighting the efforts of the Arabs - Al-Suyuti and Ibn Hisham Al-Ansari - in their analysis and interpretation of the Qur'anic text, and a conclusion that collected results that indicated the Arabs' precedence in textual studies. Their efforts were characterized by novelty, accuracy, and deduction of mechanisms that demonstrated the precision and consistency of the verses of the Qur'an.

Keywords: textual cohesion, sentence linguistics, text linguistics, sentence, text.

1- مقدّمة:

إنّ تحوّل الدّراسات اللغويّة من دراسة الجملة إلى دراسة النّص كان لتوسعة مستويات التّحليل النّصي ، الذي يحْوي قضايا لها علاقة وثيقة بالنّص ،والتي يخرج عن إطار الجملة المفردة التي لا يمكن تفْسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلا من خلال بنية(وحدة) النص الكليّة . فهذا التّحوّل الهامّ الذي "حدث في الدّراسات اللّسانيّة المعاصرة بالانتقال من دراسة الجُمل المنْعزلة إلى دراسة النّصوص التي تعبّر عن اللّغة في حالة الاستخدام الفِعْلي التي هي مواقف الاتّصال ... فهو تحوّل يستهدف في أساسه دراسة العمليات التي يتمّ بواسطتها توظيف اللّغة كأداة منْ أدوات التّواصل" (عوض ، 1994، صفحة 93)

كما تدرس لسانيات النّص القضايا التي لها علاقة وثيقة بالنّص كسياق النّص وبنيات تفْسيره وانْسجامه واتّساقه ؛ وهذا الأخير تبلورت ماهيته وأسسه على يد هاليداي ورقية حسن ، والورقة التي بين أيدينا توثّق هذه الأسُس من التراث خاصّة الجرجانيّ بنظرية النّظم ، و إعادة الصّياغة لابن الاثير والإلحاح على المؤقف الكلاميّ للجاحظ. تُعتبر إسهامات قيّمة في مجال النّص تكشْف عن وظيفة هذا الاتجاه وغايته ، و البحثُ يُجيب على عدّة تساؤلات تندرج تحْت سؤالٍ عامّ هو: كيف يظهر التّماسك النّصي من خلال الجهود اللّغويّة للسّيوطي وابن هشام الأنصاريّ؟ تتفرّع منْه عدّة اسئلة هي: هل يمكن اعتباره علمًا جديدًا ؟ أم قد تمّ التّطرّق إليْه سَلَفا بِنَاء على أسُسٍ متينة . و ما العَلاقة بين تماسك النّص الذِي أفْرزته الدّراسات الغربيّة وما قدّمه اللّغويّون العرب؟

وللإجابة عن ذلك تمّ بناء خطّة تمثّلتْ في مقدّمة توضّح التحّول من الجملة إلى النّص في الدّراسات اللّغويّة ثم الدّخول إلى حيثيّات المتن بالوقوف على حدود الدّراسات العربيّة و الغربيّة قديما وحديثا و التّعريف بلسانيات النّص كعلم مُكتمل يهتم ببناء النصّ و معاييره والتّركيز على التّماسك (التّرابط) النّصي . و الاستفادة من جهود السّيوطيّ وابن هشام الانصاريّ في تفاسيرهم لآيات القرآن منْ خلال تحليل نماذج لآيات كريمةٍ معتمدين في ذلك منهجًا وصْفيًّا تحليليًّا يجعلنا نستنبِط الآليات التي جعلت القرآن كالكلمة الواحدة. ثم ختاما التوصّل لنتائج مميّزة ، تصبّ في الغاية من تحليل النّص القرآنيّ وتبيّن أهمية الدراسة ؛كوْنها تجاوزت الجملة كإطار نهائيّ للتّحليل في الكلام ، وجعلت من المتلقي شريكاً أساسيّاً لا ينبغي تجاهل دوْره في تلقي النصّ وإدْراكه ، كما أنّها لم تكن آراء نظرية بعيدة عن روح النّص العربي؛ بل أُتبعت النّظريّة بالتّطبيق

على أفْصح وأقْدس نص تفْتخر به العربيّة (القرآن الكريم).لأنّ النّص القرآنيّ ما ينبغي أنْ تُصْرف إليْه العناية ، قال الحافظ ابن الجوْزيّ:" لمّا كان القرآن الكريم أشْرف العلوم كان الفهْمُ لمعانيه أوْفى الفهومِ ، لأنّ شرف العِلْمِ بشرف المعْلوم" (ابن الجوزي، 2002، صفحة 3/1)

2- حدود الدّراسات اللّغويّة(التّراثيّة / الحديثة):

لا يخفى على كلّ دارس لجهود النّحاة القدامى ما قدّموه منْ تأْصيل علميّ متين. و فتحوا أبوابَ علُوم و معارف لم تخطر في خلد سابق لهم ، من تِلْكمُ العلوم دراسة الجملة دراسة مفصّلة في نحْوهم وتراكيب كلامهم . فأعطوها تعارف عدّة منها ؛ هي:" القول المفيد بالقصْد ، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السّكوت عليْه" (الأنصاري، 1985، صفحة 49)

فاللّغويّون العرب قديما انطلقوا من " نحْو الجملة ، وتركّزت تحليلاتهم في إطارها ، فإنّ هذا لا يُعتبر عجْزا أو قصورا ، وإنّما مردّه إلى رغبة العلماء في تقويم اللّسان منْ خلالها .ومِنْ ثمّ الاهتمام بالقواعد التي تضْمن سلامة الجملة باختلاف مستوياتها" (ملياني، 2010، صفحة 51)إلا أنّ انتقال المحدثين إلى النّص له مسوّغاته أهمّها" أنّ لسانيات الجملة تدرس الجملة بمعزل عن مُختلف سياقاتها التي أنْتجتها (لغويّة ، مقاميّة، اجتماعيّة ...)في حين يجب الرّبط بيء، الجملة و بقيّة الجمل السّابقة و اللاحقة التي تكوّن جسد النّص" (مصطفاويّ، 2018، صفحة 83). تُعدّ اللسانيات النّصيّة منْهجا لسانيّا يُعْنى بدراسة نسيج النّص اتّساقا وانْسجاما و انتظاما، للبحث عن الآليات الشّكلية والدّلاليّة(المضمون) التي تُسْهم في بناء النّص .

ونروم من وراء هذا الطّرح بيان مدى توافر النّحو العربيّ خاصّة عنْد السّيوطيّ وابن هشام الأنصاريّ على رؤى وقواعد وآليات ووسائل تقوم مقام كثير من الإجراءات التحليليّة في لسانيات النّص. وذلك من خلال تحليلاتهم اللغويّة الدقيقة. واتّخاذهم النّص القرْآنيّ أصْلا جوهريّا لاستنباط قواعد النّحو ، لهي ممارسة نصيّة في حدّ ذاتها كوْنه كالكلمة الواحد في تماسكه وانسجامه.

3- لسانيات النّص:

للمصطلح تعاريف عدّة نقتصر على ما هو أشمل ،أسْهب ؛ فهي على ما يحدّد نيلز (Nils):"علم يُعْنى بدراسة الأدوات اللّغويّة الكفيلة بتحقيق التّماسك النّصيّ الشّكليّ و الآليّ ومراعاة السّياق ، وضرورة وجود خلفيّة لدى المتلقّي حين تحليل النّص" (الفقي، 2000، صفحة 35)

4- أسس ومعايير لسانيات النّص:

النّص عند (روبرت آلان دي بيوجراند) ؛ حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أنْ تتوافر له سبْعة معايير إذا تخلّف واحد منها تنْتزع منْه صفة النّصيّة، وهذه المعايير هي :

- السّبك أو الربط النحوي(cohesion).
- الحبْك (coherence) أو التماسك الدلالي، وترجمها تمام حسان؛ بالالتحام.
- القصد (Intentionality)؛ وهو الهدف من إنشاء النّص.
- القبول والمقبوليّة (Acceptability) وتتعلق بموقف المتلقّي من النّص من حيث قبوله أو رفضه.

- الإخباريّة أو الإعلام (Informativity) وتتعلّق بأفق انتظار المتلقّي وتوقّعه للمعلومات الواردة في النّص.
- المقاميّة(Situationality) وتتعلّق بمناسبة النص للموْقف والظروف المحيطة به.
- التّناص (Intertextuality) (الفقي، 2000، الصفحات 33-34)
- وما يتمّ التّركيز عليه منْ معايير في الورقة البحْثيّة هو:

5- انْسجام النّص القرآني وتماسك بنائه:

عندما نتحدّث عن الانسجام والتماسك في النص، فإنّما نتحدّث عن معْياريْن رئيسيْن من معايير بناء النّص أو ما يسمّى بـ: لسانيات النّص:

فالتماسك أو الاتّساق(Coherence) مفهوم يُعنى بخصائص الرّبط النّحْويّ بيْن الجمل والعبارات لتأليف بنية نصيّة متماسكة مُترابطة . ويعتمد الرّبط النّحويّ على : الإحالة و التّكرار و حروف العطف و الفصل والوصل ...

أمّا الانسجام (Cohesion) :فيدخل فيه التّرابط الموضوعيّ للنّص (الصبيحيّ، 2008، صفحة 82) ، الذي يجعل منْه وحدة دلاليّة ، فمن مظاهره أيضا اشْتمال النّص على سيْرورة واسْتمراريّة وتطوّر واتّجاه نحْو غاية محدّدة تضْمَنُ لهُ التّدرج والانتقال وتنْفي عليْه الانتقال غير المسوّغ ، ووجود مثل هذه العلاقات المعنويّة داخل النّص يُيسّر فهْمه فهْمًا منْطقيًّا. (براون و يول ، 1997، صفحة 234)

لذا فاختيار الألفاظ يجب أن يكون بطريقة مُحكمة الصّنْعة جيّدة السّبك، ذات معْنى ودلالة؛ حتى تدخل هذا الاختيار ضمن ميدان التّعبير الأسْمى البليغ ، لذلك فإنّ أسلوبيّة الألْفاظ "ليْست ميْدان التّعبير بالجملة، وإنْ كانت هذه من وحدات تكوينها، ولكنّها ميدان التعبير بالخلق أو الخرْق أو الخروج عن المألوف، نحواً وتركيباً، دلالةً ومنْطقاً" (عياشي، 1990، صفحة 108).وهو ما يميّز النّص القرآنيّ الذي "بلَغ منْ ترابط أجزائه، وتماسُك كلماته وجمله وآياته وسوره مبْلغاً لا يدانيه فيه أيّ كلام آخر، مع طول نفسه، وتنوّع مقاصده، وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد" (الزرقاني، 1372هـ، الصفحات 211-212)

و النّاظرُ في النّص القرآني يتجلّى له على وجه العموم مسألتان:

1-:دقّة النظم القرآني، ورصانة ألفاظه، وسعة معانيه، وحسن سبكه ،هذه وغيرها من مميزات النص القرآني، التي تعطي الدّلالة القاطعة والواضحة على روعة بيانه وسموّ إعجازه ،ولا غرابة في ذلك ؛لأنّه تنزيل حكيم حميد.

2-: علاقة المطْلع بالمضْمون فالخاتمة، ومدى ملائمة بعضها بعضاً، وهذا هو قمّة الإعجاز في اختيار الخاتمة التي تلائم السياق :"لأن القرآن كله كالسورة الواحدة" (الأنصاري، 1985، الصفحات 328-329).

6- التّراث اللّغوي العربيّ في خدمة النّص:

ولبيان ما يتّسم به النّص القرآني من تماسك وانْسجام فقد تمّ اختيار أعمال وتراث عالمَيْن جليلَيْن هما: جلال الدّين السّيوطي وابن هشام الأنصاريّ

- أمّا السّيوطي فلشُهْرته :

يعدّ منَ العلماء المتأخرين (911هـ)، وفضْلاً عنْ هذا التّأخر فإنّه زرَع وثبّت –كسابقيه- دعائم الإعْجاز والتّعبير، وإنْ كان البعْض منها نقلاً عن سلفِه، حيْث يجعلنا نزداد ثقة ويقيناً بقدرته الفائقة على جمع الآراء وطرحها للنقاش والتّمحيص.

- غزارة كتبه ، خاصّة تلك التي اهتمّت بإعجاز القرآن الكريم، وبيان أسرار جماله ، منها "قطف الأزهار في كشف الأسرار"، و"معترك الأقران في إعجاز القرآن"، و"الإتقان في علوم القرآن"، و"نواهد الأبكار وشواهد الأفْكار" (حاشية على تفْسير البيضاوي)،الإكْليل في اسْتنباط التّنزيل و تناسق الدرر في تناسب السور؛ هذا العلم - المناسبة- يُعْنى بمعرفة المناسبات بين الآيات و يكشف الروابط والصّلات بين الآيات والسّور، وهنا تكمن أهمّيته في كوْنه مبْحثاً منْ مباحث إعْجاز القرآن ودعامة من دعائم تفسيره يدعو إلى ارتباط آي القرآن وسوره بعضها بالبعض الآخر، والوقوف على ما بينها من مناسبات دقيقة لإثبات حكمة توقيفية الآيات والسور، وما يستتبع ذلك من استخراج المعاني والتماس لطائف النكات التي لا يتوصل إليها إلاّ بمعرفة الهدف العام للسورة ووجه مناسبتها لما قبلها وما بعدها.

- أما ابْن هشام الأنصاري (ت 761هـ): لشهرته وعلوّ كعْبه في علم النّحو

ولجعله القرآن المصْدر الأول لبناء القواعد . وتصحيح الأساليب ، فتعرّض للآيات القرآنيّة، وجعلها محور إعراب، وميدان تدريب ومجال تأويل وتخريج" (مكرم، 1978، صفحة 202)

فقد احتوى (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ما يقرب من **ألف وتسعمائة وثمانين** ، ما بين آية أو جزء من آية ، بينما لم يستعمل فيه من الشواهد ببعيد في شذور الشعريّة إلا **تسعمائة وتسعة وأربعين** بيتًا أو شطْر بيتٍ (نجيب، 1978، صفحة 144)، و كتابه المغني متوجّه توجّها نصّيا لما سبق ذكره من حيث الغاية والتّطبيق، فقد ذكر في المقدمة أنّ غرضه من كتابه تيْسير علم الإعراب بعد أن أصْبحت الكُتب المَوْضوعة فيه مكرّرة مليئة بالحشْو، و ليْس فيها الأصول العامّة و القوانين الكليّة التي تضبط الفهم وتذلل الصّعْب، وكل ذلك خدمة للقرآن ، وبالإضافة إلى أنّ نصْف أبواب الكتاب تقريبًا خصّصت للحديث عن حروف المعاني ، وهي ذات فاعليّة كبيرة في الرّبْط وبناء الجُمل وتتابعها. وتصبُّ في نحْو الجُملة ،بل تجاوزت حُدود الجملة الواحدة.

-الباب الثاني : وهو في تفسير الجملة وذكر أقْسامها وأحكامها، ومن ذلك الجمل التي ليس لها محل من الإعراب وهي سبْع ، والجمل التي لها محل من الإعراب وهي تسْع (الأنصاري، 1985، الصفحات 37-38-89)

- الباب الرابع : وهو في ذكر أحكام يكثر دورها : ما يُعرف به المبتدأ والخبر، وما يفْترق فيه عطْف البيان والبدل والحال و التّمييز، و تفصيل الروابط من جهتين : روابط الجملة بما هي خبر عنْه وهي عشرة ، و الأشياء التي تحتاج إلى رابط وهي أحد عشر شيئًا (الأنصاري، 1985، الصفحات 113-180)

7- النّموذج الأوّل: كيفيّة تحليل السّيوطي للنّص القرآنيّ.

لقد حاول القدماء أنْ يصلوا إلى قيم فنيّة لنقد النّصوص، فما قام به خلف الأحمر وحمّاد الراوية ، وغيرهم من الرواة من انتقاء للنّصوص الجيّدة المتماسكة،أو جيّدة السّبك كما يذكر الجاحظ ، يُعدّ مقدّمة ونقْطة انطلاق لتكوين نظريّة لدراسة النّصوص ونقْدها ، وبيان الجيّد منْها .

و ما قام به الزركشي في "علوم القرآن" و البقاعيّ في "نظم الدّرر" ومن بعدهما السّيوطيّ يقْترب من التّطبيق العَمليّ لبعض أسُس تماسك النّص. كما قد نقل السّيوطي عن **المَلَويّ** أنّه قال :"قد وَهِم منْ قَال لا يُطْلب للآي الكريمة مناسبة لأنّها على حسب الوقائع المفرّقة وفصْل الخِطاب أنّها على حَسَب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسْلوبِه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أنْ يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم وهكذا في السّور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سِيقَت له " (السيوطيّ، 1973، الصفحات 369-370) .ويقول أيضا:" المناسبة في اللّغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسّبب والمسبّب والعلّة والمعْلول والنّظيرين والضدّين ونحوه.

وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء فنقول ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل وهذا القسم لا كلام فيه. وإمّا ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به، فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو لا فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى:﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾(سبأ/02)وقوله:﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة/245)للتضاد بين القبض والبسط والولوج والخروج والنزول و العروج وشبه التضاد بين السماء والأرض ومما الكلام فيه التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والنّاهي وتأمّل سورة البقرة والنّساء والمائدة تجده كذلك." (السيوطيّ، 1973، صفحة 370)

يكاد يكون النّص عنْد السيوطي هو النّص عند الزركشي ،وبينهما فوق مائة سنة. ومع ذلك فحسب السيوطي أنه ذكر فائدة هذا التّماسك، أو فائدة المناسبة- مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها، وكذا السورة، وفائدته "جعل أجْزاء الكلام بعْضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء" (السيوطيّ، 1973، صفحة 390) الذي ذكره السّيوطي هو ما يدْندن حوله عامّة علماء النّص في العصْر الحديث، أنْ يصبح النّص متماسكا آخذا بعْضه بأعناق بعض مترابطة أجزاؤه، كأنّه بنَاء متكامِل.

7-1- المناسبة والعطف والتّكرار والفاصلة:

لتوضيح مدة إسْهام العطْف وتكرار الجمل أو المفردات بل والمناسبة في انسجام كلام الله واتّساقه في الآية . اخترنا وصيّة ابن مسعودﷺ . والتي هي آيات في أواخر سورة الأنعام تحْوي كلّ مهمّ وأصْل في الدّين . من التّوحيد والأخلاق والمعاملات و حقوق النّاس.

قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام:151- 153)

نرى السّيوطي يقف وقْفة المتأمّل لتباين الفواصل فيها أوّلا ثمّ مناسبة مطْلع الآية بنهايتها وعلاقة الآية بما جاء قبْلها وبعْدها ، ثمّ يقوم بذكر العلّة التّعبيرية لذلك، حيْث يقول: (فإنّ الأولى ختمت بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، والثانية بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، والثالثة بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

لأنّ الوصايا التي في الآية الأولى إنّما يحمل على تركها عدم العقل الغالب على الهوى؛ لأنّ الإشراك بالله لعدم استكمال العقل الدّال على توحيده وعظمته، وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق إحسانهما إلى الولد بكلّ طريق، وكذلك قتل الأولاد من الإملاق مع وجود الرزّاق ذو القوة المتين، وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل، و قتل النّفس لغيظ أو غضب في القاتل، فحسن بعْد ذلك "يعْقلون".

وأمّا الثانية فلتعلّقها بالحقوق المالية و القولية؛ فإنّ من عَلِمَ أنّ له أيتاماً يخلّفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتام غيره إلا بما يجب أن يعامل به الأيتام، ومن يكيل أو يزن أو يشهد لغيره لو كان ذلك الأمر له لم يحبّ أن يكون فيه خيانة ولا بخس، وكذا من وعد له وعد لم يحب أن يُخلف، ومن أحبّ ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله، فترك ذلك إنّما يكون لغفلته عن تدبّر ذلك وتأمّله؛ فلذلك ناسب الختم بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وأمّا الثالثة فلأنّ ترك اتّباع شرائع الله يؤدي إلى غضبه وعقابه فحسن ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، أي عقاب الله بسببه" (السيوطي ، 1988، الصفحات 33-34) ، وبعد هذا يمكن القول: إنّ سياق الآية الأولى التي ختمت بـ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، لمّا كانت تفصّل ما حرّم الله تعالى عن الإنسان المسلم من الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل الأولاد خشية الفقر، وفعل الفواحش الدنيئة، سرّها وعلنها، وقتل النفس إلا بالحق، كانت تلك المشاهد والمواقف تحتاج إلى وقفة يتأمّل فيها بنو آدم هذه الوصايا، وبيان تحريمها من عند الله تعالى، فناسب ختمها بـ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أي: تعقلون تلك الوصايا وحكمتها.

أمّا سياق الآية الثانية التي ختمت بـ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فقد تحدّثت عن وصايا تتعلّق عن عدم قرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، وعن إيفاء الكيل والوزن بالعدل، فهذه الوصايا تحتاج إلى تذكير مستمرٍ؛ لأنّها أقرب ما يتعلّق بها الإنسان في حياته اليومية؛ ولذلك حسن ختمها بـ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

أمّا سياق الآية الثالثة التي ختمت بـ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فهذه الخاتمة في قمّة الإبداع والإعجاز، إذ إنّ اتباع المسلم صراط الله المستقيم الناتج عن الدّين القيّم، والذي هو على ملّة إبراهيم عليه السلام، والمتّسم بالتّوحيد الخالص، فضلا عن أمور العقيدة الأخرى؛ تتناسب مع الختم بالتقوى، لاسيّما أن الذي يتبع هذه المحاور سيكون من أهل التّقوى والصّلاح؛ ولذلك حسن ختمها بـ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

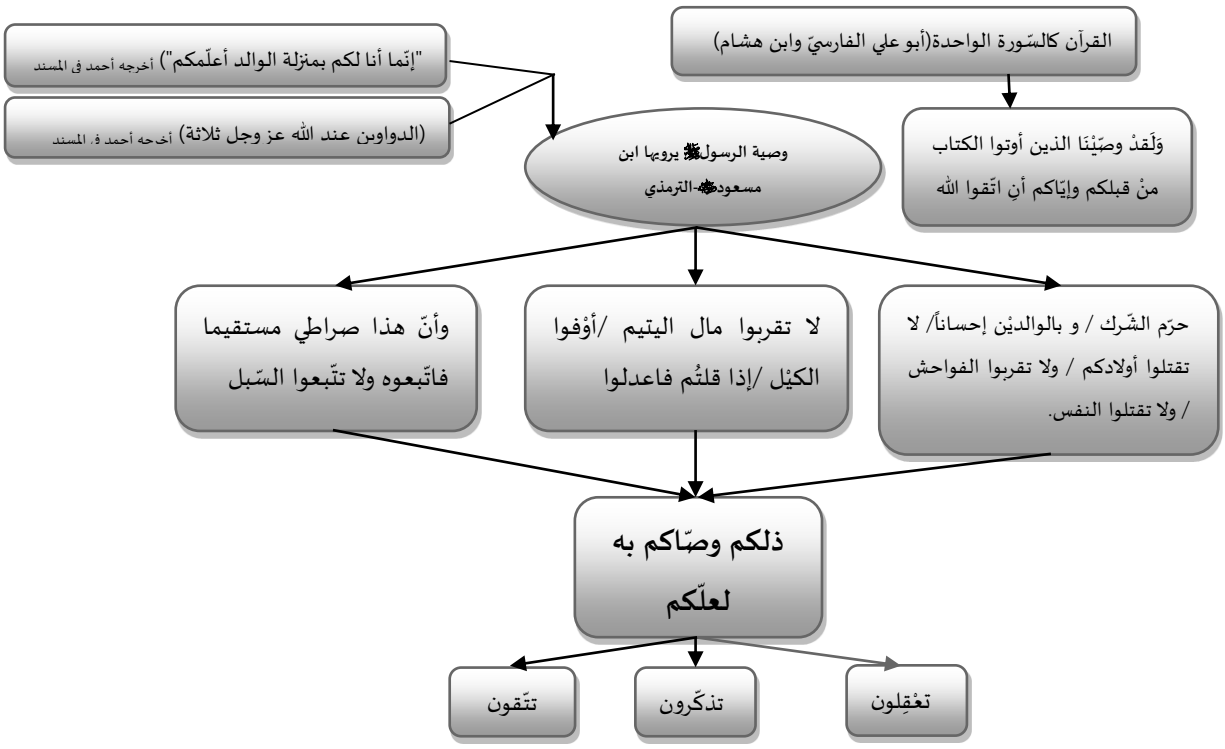

شكل 01: تحليل نصيّ عند السيوطيّ

2-7- اختيار في الجمل.

الجمل في العربية تنْقسم بطبيعتها إلى اسمية وفعلية وظرفية، وزاد الزمخشري وغيره الجملة الشّرطيّة، والصّواب أنّها من قبيل الفعليّة (الأنصاري، 1985، صفحة 7)، فالجملة العربيّة تتألّف من عناصر، أبرزها المفردة (الكلمة)، والبناء الصّرفي (الصّيغة) (السامرّائي، 2003، صفحة 11)

وتتألّف أيضا من ركنيْن هما: المسند والمسند إليه ؛عمْدة الكلام، وما عداهما فضلة أو قيْد (السامرّائي، 2003، صفحة 14)، والجمل بشكلها العامّ تنقسم على جمل اسمية وأخرى فعلية ، و سنقوم ببيان سبب اختيار الجمل بعضها على بعض وفق ما ذكره السيوطي في كتبه. ولنأخذ مثلا بـ: اختيار جملة اسمية على فعلية:

1- قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾(هود:69) ، بيّن إختيار الجملتين، أعني جملة "سلاماً" الفعلية على جملة "سلامٌ" الاسمية، وقال بـ(أنّ سلام الخليل أبلغ من سلام الملائكة، حيث ﴿**قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ**﴾ فإنّ نصب سلاماً إنّما يكون على إرادة الفعل، أي: سلّمنا سلاماً، وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم...بخلاف سلام إبراهيم فإنّه مرتفع بالابتداء، فاقْتضى الثبوت على الإطلاق، وهو أولى ممّا يعرض له الثبوت، فكأنّه قصد أن يجيبهم بأحسن ممّا حَيَّوْه به) (السيوطي ، 1988، صفحة 318)وهذا يعني أنّ الجملة الاسمية أوكد وأثبت من الجملة الفعلية (السيوطيّ ج.، 1994، صفحة 385) (السيوطي ، 1988، صفحة 497) (الفراء، 1955، صفحة 21) (بن عاشور، 1984، صفحة 116)(السامرائيّ، 1998، صفحة 22) . ولهذا فرفْع المصْدر أبْلغ من نصبه؛ لأنّ الرفع فيه تناسي معنى الفعل، فهو أدلّ على الدوام والثبات، ولذلك خالف بينهما للدلالة على أنّ إبراهيم عليه السلام ردّ السلام بعبارةٍ أحْسن من عبارة الرسل زيادة في الإكرام (بن عاشور، 1984، صفحة 116)

2- قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام:56) وقف السيوطي عند الجملة الاسمية ﴿**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾، وبيّن اختيارها في هذا الموضع على الجملة الفعلية "وما اهتديت"، إذ يقول: ﴿ **وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾، تأكيد لجملة "ضللت" وعدل عن "وما اهتديت"؛ لأنّ المذكور أبلغ من جهة الاسمية، والتعبير بمن يقوم كذا، ومراعاة الفاصلة" (السيوطيّ ج.، 1994، صفحة 588).و نستنتج من ذلك أمور؛ هي:

- أنّ جملة ﴿**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾، اسميّة أوكد وأثبت وأقْوى من الجملة الفعليّة "وما اهتديت".
- "من" و ملاءمتها السّياق القرآني للآية ؛ حيث بيّن أنّ عاقبة المشهد أنّه ليس من بعض المهتدين .
- الفاصلة القرآنيّة لسورة الأنعام تقْتضي ختم الآية بهذا الشّكل، و يمكن عدّها من متمّمات العدول.
- قوله تعالى ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(الفاتحة/02)، يقول السّيوطي: "وإنّما جيء في "الحمد" بالجملة الاسمية، ولم يقل "نحمدك" وفي العبادة أي: قوله تعالى﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(الفاتحة)

- بالجملة الفعليّة، ولم يقل: العبادة لك؛ لأنّ الحمد له أمْر ثابت قبل كل خلق، وإنْ لم نحمده، فجيء فيه بالاسمية الدّالة على الثبوت، وأمّا العبادة فَفِعْلٌ منّا يتحقق بعد وجودنا، فجيء بالفعليّة الدّالة على الحُدوث" (السيوطيّ ج.، 1994، صفحة 136)

8- النموذج الثاني: كيفيّة تحليل ابن هشام للنّص القرآنيّ.

8-1- **الضمير:** الأصل في الرّبط أيْ روابط الجملة بما هي خبر عنه (الأنصاري، 1985، صفحة 157)

ونمثّل لذلك بقوله تعالى:﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:95)

قرأ بنصب " كلّ " كالجماعة لأنّ قبْله : جملة فعليّة وهي (فضل الله الْمُجَاهدين) ، فساوى بيْن الجملتيْن في الفعليّة بل بيْن الجمل لأن بعده (وَفضل الله الْمُجَاهدين) يقول ابن هشام :"الضَّمِير وَهُوَ الأَصْل وَلِهَذَا يرْبط بِهِ مَذْكُورا كزيد ضَربته ومحذوفا...منصوبا كَقِرَاءَة ابْن عَامر فِي سُورَة الْحَدِيد (وكلا وعد الله الْحسنى) وَلم يقْرَأ بذلك فِي سُورَة النِّسَاء بل قَرَأَ بِنصب كل كالجماعة لِأَنَّهُ قبله جملَة فعلية وَهِي (فضل الله الْمُجَاهدين) فساوى بَين الجملتين فِي الفعلية بل بَين الْجمل لِأَن بعده (وَفضل الله الْمُجَاهدين)" (الأنصاري، 1985، صفحة 157)

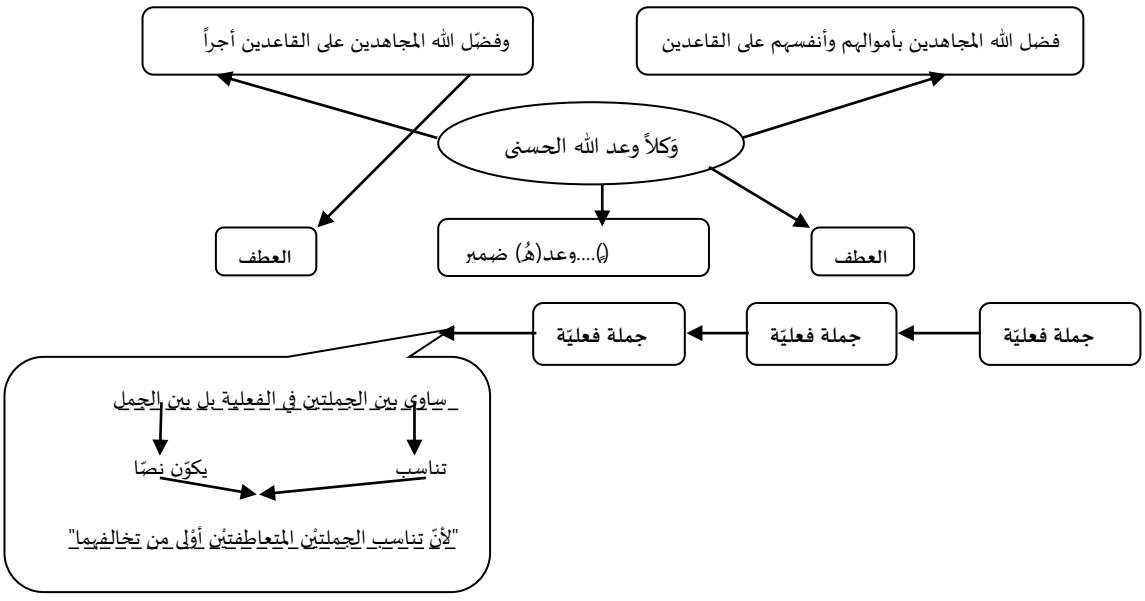

(الأنصاري، 1985، صفحة 145)

شكل02: تحليل نصيّ عنْد ابن هشام

- في الأوّل حقّق مسألة الرّبط بالضمير المحذوف .
- انتقل إلى أداة الرّبط العطف(عطف الجمل)، واشترط التّناسب أو ما نسمّيه المناسبة ؛ أيْ: جمل-جزء من آية- فعليّة متتابعة ومتماسكة و مترابطة.
- تنْوين العِوض(وَكُلّاً) العائد على المجاهدين.
- الحُسْنى فُسِّرت في فاصلة الآية الثالثة.

8-2- **اسم الإشارة** يكون رابطا للجملة الخبريّة للمبتدأ (الأنصاري، 1985، صفحة 158)

وذلك في قول الله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (الأعراف :36)

شكل 03:ربْط الجمل المتتابعة-نصّ-باسم الاشارة

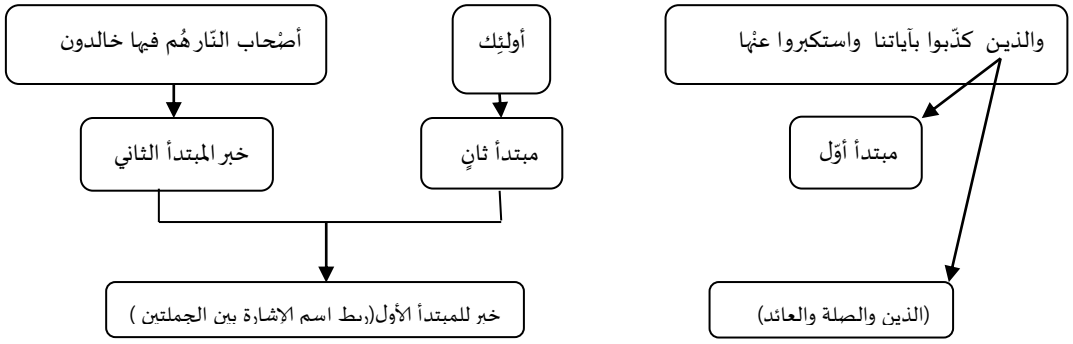

- الرّبط في الآية يبدأ بمطلعها وصولا للضّمائر المتّصلة واسْم الإشارة و(هم) و(ـها) و واو الجمع المذكّر التي تشير إلى منْ وصفوا في بدْء الآية.

8-3- **التّكرار:** قسّم إلى :

أ- إعادة المبتدأ بلفظه : أكثر وقوعه في مقام التهويل والتفخيم نحو قوْله ﷻ : ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ ﴾ (الحاقة:01) ، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧﴾ (الواقعة:27) .ويمثّل لذلك في موضع آخر، بقوله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٤٤ ﴾(آل عمران:44) و"إنما حسن تكرار لدى في(وَمَا كُنتَ لَدَيْهِم) (الأنصاري، 1985، صفحة 159) لتباعد ما بينهما ولا تصلح لدن هنا لأنه ليس محلّ ابتداء.

ب- إعادته بمعناه نحو زيد جاءني أبو عبد الله إذا كان أبو عبد الله كنية له أجازه أبو الحسن مستدّلا بنحو قوله ﷻ : ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ۝١٧٠ ﴾(الأعراف:170) وأجيب بمنع كون الذين مبتدأ بل مجرور بالعطف على (الذِينَ يتّقُونَ) ولئن سلم فالرابط العموم لأنّ المصلحين أعمّ من المذكورين (الأنصاري، 1985، صفحة 159)

9- خاتمة :

نوجز أهمّ النّتائج التي تمّ التوصّل إليها؛ فيما يلي:

- ظهور علم جديد يهتمّ بالنّص ومعايير إنتاجه.
- الانتقال من نحْو الجملة إلى لسانيات النّص كان حتميّا، مع ذلك لا يمكن الاستغناء عن تحليل الجملة لاعتبار النّص سلسلة متتابعة من الجُمل.
- اللّغويّون العرب القدامى تطرّقوا إلى آليات تحليل النّص حين معالجتهم لتراكيب آليات وشرحها وتبيين خواصّها وأسس بنائها.
- من خلال بحوث ابن هشام والسّيوطيّ يجعلنا نؤكّد أنّ ما قاموا به من جهود عّميقة للنصِّ القرآني، مع دراساتهم الواسعة في إعجاز القرآن الكريم، كانوا على دراية تامَّة بمسألة التماسك النّصيّ الذي يتميّز به النّظم القرآنيّ.
- التقريرات النّحويّة بل و اللّغويّة التي اسهب ابن هشم في تفصيلها تجعل منها أفكارا ناضجة للتحليل النّصي الذي ينبيّ أولا على المفردة ثم التّركيب .
- نُكت السّيوطيّ في تفسيراته وفوائده النّحويّة تصبّ في التّرابط والتماسك النّصي وانسجامه.

التماسك النّصيّ علْم قديم في أصُوله جديد في أسْلوب، و مصطلحاته ، بل يُعدُّ الامتداد الطّبيعيّ لعلم النّحو. فقد كانوا على وعي ببعض أصوله. إلَّا أنَّهم لم يضعوها ضمن إطار نظرية نحْويّة نصِّية؛ ولم يؤسّسوا أو ينْظّروا لذلك، كالتّنظير عنّد اللّسانيين المحدثين.

المراجع:

1- ابن هشام جمال الدين الأنصاري. (1985). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (المجلد ط:6). (مازن المبارك، و محمد علي حمد الله، المحررون) بيروت: دار الفكر.

2- ابو الفرج جمال الدين ابن الجوزي. (2002). زاد المسير في علم التفسير (المجلد ط:1). (عبد الرزاق المهدي، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

3- أبو زكريا الفراء. (1955). معاني القرآن (المجلد ط:1). مصر: دار الكتب المصرية.

4- جلال الدين السيوطي . (1988). معترك الأقران في إعجار القرآن (المجلد ط:1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلميّة.

5- جلال الدّين السيوطيّ. (1973). الإتقان في علوم القرآن (المجلد 1973). (محمد ابو الفضل إبراهيم، المحرر) القاهرة: الهيئة المصريّة للكتاب.

6- جلال الدين السيوطيّ. (1994). قطف الأزهار في كشف الأسرار (المجلد ط:1). (أحمد محمد الحمادي، المحرر) الدوحة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة.

7- جلال مصطفاويّ. (2018). الترابط النّصيّ في سورة الكهف(مقاربات لسانيّة) (المجلد د.ط). تلمسان، الجزائر: النشر الجامعي الجديد.

8- جوليان براون، و جورج يول . (1997). تحليل الخطاب (المجلد ط:1997). (محمد لطفي الزليطي، و منير التريكي ، المترجمون) الرياض: منشورات جامعة الملك سعود.

9- صبحي إبراهيم الفقي. (2000). علم اللّغة النّصيّ بين النّظريّة والتّطبيق(دراية في السور المكيّة) (المجلد ط:1). مصر، مصر: دار قباء والنشر والتوزيع.

10-عبد العال سالم مكرم. (1978). القرآن الكريم واثره في الدّراسات النّحويّة (المجلد ط:2). الكويت: مؤسسة علي جراح.

11-فاضل صالح السامرائيّ. (1998). التّعبير القرآنيّ (المجلد ط:1). عمان، الأردن: دار عمار.

12-فاضل صالح السامرّائي. (2003). معاني النّحو (المجلد ط:2). عمان، الأردن: دار الفكر.

13-محمد الأخضر الصبيحيّ. (2008). مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه (المجلد ط:1). بيروت: منشورات الاختلاف.

14-محمد الطاهر بن عاشور. (1984). تفسير التحرير والتنوير (المجلد د.ط). تونس: الدار التونسيّة للنشر.

15-محمد سمير نجيب. (1978). أثر القرآن والقراءات في النّحو العربي (المجلد ط:1). الكويت: دار الكتب الثقافيّة.

16-محمد عبد العظيم الزرقاني. (1372ه). مناهل العرفان في علوم القرآن (المجلد ط:3). القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة .عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

17-محمد ملياني. (2010). من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص. مجلة الترجمة واللغات.

18-منذر عياشي. (1990). مقالات في الأسلوبية (المجلد ط:1). دمشق، سوريا: منشورات إتحاد الكتّاب العرب.

19-يوسف نور عوض . (1994). نظرية النقد الأدبي الحديث (المجلد ط:1). القاهرة، مصر: دار اليمن للنشر والتوزيع.